الاغتيال الثاني للسادات

الفصل الثالث
السادات
في الطريق إلى الرئاسة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

« أنا أمشي ببطء ، ولكن لم يحدث أبداً أنني مشيت خطوة واحدة للوراء »

« إبراهام لنكولن »

السادات هدوء وتحفز بعد الثورة :

استحق السادات بجدارة أن يوصف بالثعلب السياسى ، فقد كان أكثر رجال الثورة تجربة وخبرة وأعرفهم بالسياسية وألاعيبها ، كان الأكثر دهاء ومكرا ومراوغة ، لم يندفع نحو أهدافه ولم يتعجل لتحقيقها ، بل ركن إلى الظل وبمزيد من الصبر والهدوء والمكر سعت إليه الفرصة دون أن يلهث وراءها وفاجأ الجميع بقفزه من وراء الكواليس إلى قمة الأضواء ، عرف السادات أن الثورات تأكل أبناءها ، ورأى بعينه كيف دارت الصراعات بين رجال الثورة وكيف آلت هذه الصراعات إلى تصفيتهم ، كما رأى كيف أجبر عبد الناصر محمد نجيب على الاستقالة ، ثم حل مجلس الثورة وانتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية ، ورأى مصير كل من اصطدم بالرئيس عبد الناصر ، وفطن السادات إلى شخصية الرئيس عبد الناصر بإيجابياتها وسلبياتها ، تلك الشخصية القيادية التى استحقت الزعامة عن جدارة ولكنها لا تقبل النقد ولا المعارضة ؛ فعرف السادات أنه لا سبيل إلى معارضة عبد الناصر ؛ ولهذا لم يعارض السادات عبد الناصر مطلقاً منذ توليه الرئاسة حتى وفاته وإن عارضه لم تخرج معارضته عن إطار العتاب الرقيق ، فعندما أطلق ناصر خطاباً ملتهباً فى الإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن فيه تأميم شركة قناة السويس ، عاتبه السادات بعدها قائلاً بلطف : « لو سألتنى كنت هاقولك حاسب .. لأن الخطوة دى معناها الحرب وإحنا مش جاهزين حالياً....ولكن بما أنك اتخذت القرار خلاص فيجب أن نقف جميعاً إلى جانبك وأنا أولهم.... ».

والحقيقة أن السادات ظل مخلصاً لشخص عبد الناصر إلا إنه لم يكن بنفس

الإخلاص لمبادئه وتوجهاته السياسية ، فالسادات له فكره المختلف تماماً عن عبد الناصر وهو ما أثبته بعد توليه الرئاسة بعد عبد الناصر حيث كانت له توجهاته المختلفة تماماً عن عبد الناصر فمن اشتراكية عبد الناصر إلى انفتاح السادات ، ومن عروبة عبد الناصر إلى مصر أولاً للسادات ومن حماسة عبد الناصر المثيرة إلى واقعية السادات المستفزة ومن ميل عبد الناصر إلى الديكتاتورية إلى خداع السادات بالديمقراطية من قرارات عبد الناصر الملتهبة التى تثير حماس الشعب إلى قرارات السادات المفاجئة التى تصدم توقعه ، كان لكل منهما تفكيرهما المختلف فى الحكم .

مناصب فى الظل :

منذ قيام الثورة لم يطلب السادات منصباً كما أنه لم يرفض منصباً أسند إليه ، ورغم أن المناصب التى تولاها السادات فى ظل مجلس قيادة الثورة وفى ظل رئاسة عبد الناصر كان أغلبها مناصب إشرافية ولم تكن تنفيذية تأخذ حيزاً وشكلاً فعالاً فى السياسية المصرية حتى أن البعض لامه على قبولها ، إلا أن السادات بشكل أو بآخر استطاع كعادته أن يستفيد من الإمكانيات المتاحة لديه وأن يدعم خبرته من خلال تجاربه فى المناصب المختلفة التى تولاها ، ففى عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إلى السادات مهمة رئاسة تحرير هذه الجريدة نظراً لسابق اشتغاله بالصحافة وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٦ ، ومع أول تشكيل وزارى لحكومة الثورة تولى السادات منصب وزير دولة فى سبتمبر ١٩٥٤ ، كما عين سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ، وربما اختاره عبد الناصر لهذا المنصب لميل السادات إلى الدين ، واستطاع السادات من خلال جولاته الخارجية فى بلدان العالم الإسلامى أن يوطد علاقاته ببعض الشخصيات الهامة مثل ولى عهد الملك سعود وهو «الملك فيصل» – أصبح ملكاً للسعودية فيما بعد – والذى كان له دوره البارز فى حرب أكتوبر من خلال استخدام سلاح البترول ، كما وثق السادات صلته بـ «كمال أدهم» صهر «الملك فيصل» وأحد الذين أثارت علاقته بالسادات الكثير من

الجدل خصوصاً بعدما أصبح مشرفاً على المخابرات العامة السعودية ، كما وطد علاقاته مع «آل الصباح» الأسرة الحاكمة بالكويت ، وفى عام ١٩٦٠ انتخب السادات رئيساً لمجلس الأمة ، كما أنه في عام ١٩٦١ عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو - آسيوي.

السادات نائبا لعبد الناصر

كان اختيار عبد الناصر للسادات ليكون نائباً له فى ديسمبر عام ١٩٦٩ مثيراً للدهشة والحيرة للكثير من معاصريه واعتبروه لغزا يصعب فهمه ؛ نظراً للصورة التى كانت مرسومة للسادات فى أذهانهم بأنه رجل ضعيف وليس له دراية وخبرة بتصريف الأمور ، وانطلقت التحليلات والتفسيرات والتبريرات لهذا القرار الغريب من وجهة نظرهم ، وكان على رأس هؤلاء الأستاذ الكبير والكاتب العملاق «محمد حسنين هيكل» الذى كان مقرباً من الرئيس عبد الناصر وأبرز من كتب عن العهد الناصرى ، وحاول الأستاذ «هيكل» من خلال روايته لقرار عبد الناصر المصيرى باختيار السادات نائبا له أن يقدم للقارئ تعليلات وتبريرات هذا الاختيار .

الأستاذ «هيكل» يتحدث إلى قارئ من كوكب آخر!

كانت رواية الأستاذ «هيكل» التى ساقها فى كتابه «خريف الغضب» عن اختيار السادات نائبا لعبد الناصر أشبه ما تكون بمسرحية هزلية ظهر فيها تحليل الأستاذ «هيكل» ضعيفاً ومهلهلاً استخف بعقل القارئ وكان مدعاة للكثير من النقد ، وأثر البغض الشخصى للسادات من جانب الأستاذ «هيكل» على تفسيره مما خرج به عن النزاهة الموضوعية ولوى به عنق التاريخ . يروى الأستاذ «هيكل» للقارئ كواليس هذا القرار فى كتابه «خريف الغضب» قائلاً :

« كان على عبد الناصر أن يشارك في أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك

الوقت فى الرباط بالمغرب ، وأتذكر أنني كنت معه فى هذه الرحلة وعندما دعاني إلى الجلوس بجانبه بعد إقلاع الطائرة كما كان يفعل دائما فإنه أشار إلى بالجلوس وعلى وجهه ابتسامة وفوجئت به يقول: هل تعرف ماذا فعلت اليوم ؟ ولم أكن أعرف وقال لي : « كان أنور السادات سيمر عليّ لكي يصحبني إلى المطار وطلبت منه أن يجيء معه بمصحفه ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب وعندما جاء فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية في غيابى ..... وأبديت دهشتى وسألت عن السبب الذى دعاه إلى ذلك ومدّ عبد الناصر يده إلى ملف كان قد وضعه أمامه على المائدة فى الطائرة وسحب منه عدة أوراق ناولها لى ....وكانت بينها برقية تقول أن هناك معلومات بأن الجنرال «محمد أوفقير» وزير الداخلية المغربي يتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في محاولة لاغتيال عبد الناصر أثناء وجوده في المغرب .. ولقد فكرت في أنه إذا فرض وصدقت المعلومات هذه المرة وحدث شيء فإن أنور السادات يصلح لسد الفترة الانتقالية ... وفي فترة الانتقال فان دور أنور السادات سيكون شكلياً .. ثم أضاف عبد الناصر «إن الآخرين جميعا واتتهم الفرصة ليكونوا نوابا لرئيس الجمهورية إلا أنور، ولعله دوره الآن .. » » ثم تحدث الأستاذ «هيكل» بعد ذلك عن دوامة الأحداث التى شغلت الرئيس عبد الناصر فى الفترة التالية ، ثم قال الأستاذ «هيكل» . « وفى الواقع فإن زحام الأحداث قد حوّل الأنظار كثيراً عن وجوده فى هذا المنصب ... إن وضع أنور السادات كنائب للرئيس كان قضية منسية حتى وإن كان قد خطر للبعض بما فيهم عبد الناصر نفسه أن الأمر قابل لإعادة النظر فيه وهكذا بقى أنور السادات في مكانه حتى تلك اللحظة الحزينة... ».

كانت هذه هى رواية الأستاذ «هيكل» عن القرار المصيرى لعبد الناصر ، وفى الواقع أنه لا عزاء للعاقلين فى هذه الرواية التى يصعب قبولها وتصديقها لأسباب كثيرة وقبل أن نسترسل فى ذكر الأسباب ، يمكن القول بأن ضعف صياغة رواية الأستاذ «هيكل» ترجع إلى حيرته فى كيفية إقناع القارئ بعدم خطأ عبد الناصر فى

اختياره للسادات خاصة بعدما رسم هيكل للقارئ نفسه صورة سيئة لشخص السادات ذكر الأستاذ «هيكل» أن عبد الناصر على علم بمكنونها ، فمن ناحية لا يريد الأستاذ «هيكل» أن يُخطئ قرار عبد الناصر ، وفى نفس الوقت لا يريد أن يُظهر السادات مستحقا لاختيار الزعيم الرئيس عبد الناصر ، وفى سبيل ذلك ساق الأستاذ «هيكل» كل ما يملك من تعليلات وتبريرات وحجج نجدها هزيلة وغير مقنعة للأسباب التالية :

- بعد أن فعل السادات الكثير من الأخطاء السياسية – حسب كلام الأستاذ «هيكل» – والتى أغضبت الرئيس عبد الناصر كما ذكر كان رد الفعل من عبد الناصر أن كافأ السادات وعينه نائبا له !!!.
- كيف تحول منصب نائب رئيس الجمهورية منصب الرجل الثانى فى مصر إلى «قضية منسية» بسبب كثرة شواغل الرئيس عبد الناصر التى حجبت عينه عن نائبه حتى وفاته !! وهل تواجد السادات بعد تعيينه نائبا فى كل المناسبات الرسمية وظهوره أمام عبد الناصر يوميًا ليس كفيلاً بتذكير عبد الناصر بهذه « القضية المنسية» !!
- وهل زحام هذه الأحداث الجسام التى عددها الأستاذ «هيكل» من شأنها أن تذكر الرئيس بقدرة خليفته على تحمل المسؤولية وهل هو على مستوى هذه المسؤولية أم لا أم تنسيه وجود خليفته فى هذا المنصب الذى من الممكن أن يؤول إليه مصير الوطن فى أى وقت ! ربما الرئيس عبد الناصر «ورَّثه مصر ونسى » ! كما ذكر الدكتور «فؤاد زكريا» فى كتابه «كم عمر الغضب» .
- ذكر الأستاذ «هيكل» أيضا أن السادات بعد تعيينه نائباً أغضب عبد الناصر بتصرفاته مثل موقف السادات من مبادرة روجرز ... ألم تكن هذه التصرفات كفيلة أن يلتفت الرئيس إلى نائبه وسوء تصرفه ، ويتذكر «القضية المنسية» ! أم أن الوقت لم يحن بعد انتظاراً لكثير من الأخطاء !! وكان تفسير الأستاذ «هيكل» أن حظ

السادات هو الذى أبقاه فى المنصب إلى وفاة عبد الناصر !

■ إن إعلان السادات رفضه لمبادرة روجرز ، وإلقاءه خطابا معلناً فيه عن رفضه للمبادرة أمام اللجنة المركزية التى أوصت برفض المبادرة وفقاً لوجهة نظر السادات ، دون الرجوع للرئيس عبد الناصر الذى كان متواجداً فى ليبيا والذى قبل المبادرة وهو متواجد فى ليبيا دليل على أن دور السادات فى منصبه كنائب للرئيس لم يكن مهمشاً أو شكليا، كما ذكر الأستاذ «هيكل» وإنما يستطيع أن يساهم فى اتخاذ القرارات وأن يقدم على بعض الخطوات السياسية .

■ ذكر الأستاذ «هيكل» أن عبد الناصر أخبره بأن الكل أخذ فرصته ليكون نائباً لرئيس الجمهورية إلا السادات وأن دوره حان الآن ، فهل أصبحت «سياسة الدور» هى معيار اختيار الرؤساء لنوابهم ، وعلى الكل أن يأخذ نصيبه من الكعكة !! إن الأستاذ «هيكل» أساء للزعيم عبد الناصر دون أن يدرى ورغم أنه يدافع عنه .

■ بعد كل هذه المفارقات الغريبة والمتناقضة من جانب الأستاذ «هيكل» ، وعدم اقتناعه بأحقية السادات أن يكون نائباً ، نجده بعد وفاة عبد الناصر يدير الحملة الانتخابية للسادات، ويصفه بأنه اختيار الزعيم عبد الناصر وأنه الأجدر بالرئاسة !!! .

السادات نائبا لعبد الناصر لأنه الأكفأ :

هذه هى الحقيقة الوحيدة من بين كل التفسيرات لقرار الرئيس عبد الناصر باختيار السادات نائباً له لعدة أسباب :

● لم يكن من بين كل الموجودين أكفأ وأنسب لهذا المنصب من السادات ، فالرئيس عبد الناصر كان يرى كل من حوله من رجال الثورة يتصارعون فيما بينهم على المناصب ومنهم من يمد نفوذه ليزحف على السلطة ، وكان السادات الوحيد الذى لم يطلب منصباً أو تصارع على منصب أو سلطة وظل مخلصاً لعبد الناصر ووفيا له .

- تاريخ السادات السياسى ونضاله وكفاحه وكثرة تجاربه وتعددها يرجح كفته أمام أى رجل آخر من رجال الثورة .
- إن المعلومات التى وردت لعبد الناصر باحتمال اغتياله فى المغرب ، جعلته يدقق فى رجاله ويختار أكفأهم ليكون خليفة له تحسباً لاغتياله وهو ما حدث واختار السادات لأنه رأى أنه الأكفأ .
- لقد اختار عبد الناصر السادات من قبل من دون رجال الثورة كلهم ووضعه على رأس لجنة تتولى تسيير شؤون الدولة فى غيابه وذلك بعد تعرض عبد الناصر لأزمة قلبية ، ثم هاهو عبد الناصر يختار السادات أيضا مرة أخرى ليكون نائبه عندما أحس بالخطر على حياته ، إن ذلك يولد انطباعا بأن الرئيس عبد الناصر لم يجد أفضل من السادات ليحل محله وقت الأزمات والشدائد ولو كان هناك أفضل من السادات لأخذ مكانه ، وليس من المعقول أن يختار السادات فى هذين الموقعين الخطيرين دون أن يكون مقتنعاً به .
- لا يمكن لشخص فى زعامة الرئيس عبد الناصر ورؤيته السياسية يعرف أن مصير الوطن مرتبط بتعرض حياته للخطر، ويختار رجلاً بصورة شكلية ليكون خليفة له أو يسد مرحلة انتقالية فى حالة وفاته كما ذكر الأستاذ «هيكل» لاسيما وأن الوضع فى مصر كان حرجًا للغاية بعد النكسة والأمر لا يحتمل أي فراغ سياسى أو الانتقال من مرحلة شكلية إلى رسمية.
- أراد الرئيس عبد الناصر الاستفادة من السادات الذى تربطه علاقات جيدة بالكثير من القادة العرب فى ذلك الوقت ، فى محاولة من عبد الناصر لجذب الدعم العربى لجهود مصر لاستعادة الأراضى المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .
- إن المتتبع لأقوال وآراء الرئيس عبد الناصر عن السادات يرى بوضوح مدى تقدير عبد الناصر لتاريخ ونضال السادات ، ومن مقتطفات أقوال الرئيس عبد الناصر عن السادات : « إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب ، خليقة

بالإطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ورباطة جأشه ، وإخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا إلى جانب قوة إرادته ، وتنزه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للصداقة والإنصاف كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة يوليو والسير بها قدماً فى سبيل النجاح » ، كما قال عنه «لكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ولم تتزعزع عقيدته ، ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخاً وإيماناً...إن السادات صار رمزاً حياً للمطالبة بالحرية ، ومعبراً صادقاً للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل ...مطالباً بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان » .

السادات الرئيس المفاجئ :

وهكذا اختار عبد الناصر أكفأ رجاله ليكون نائباً له ، وربما لم يتوقع كثيرون أن إمكانيات السادات من الممكن أن تؤهله لشغل منصب مرموق ولكنه خذل توقعهم وأصبح نائباً لرئيس الجمهورية ، وربما اعتقد البعض أن السادات لا يمكن أن يتجاوز طموحه السياسى هذه المرحلة ، خاصة وأنهم كان يرونه «سياسيًا محتقرًا» ، ولكنه فاجأهم وأصبح رئيساً للجمهورية وانطبقت عليه مقولة «لتزاروس» « السياسى المحتقر اليوم قد يكون رجل الساعة غدا » ، وربما أيضا أيقن البعض أن ظروفه لن تسمح له بإحكام سيطرته على مقاليد الحكم فى ظل مراكز القوى التى تسيطر على البلد ، ولكنه أذهلهم وأطاح بكل معارضيه وقبض بيد من حديد على زمام السلطة ، وهكذا شاءت الأقدار أن يكون السادات رئيساً لمصر ويكتب الله على يديه النصر ، ويسترجع أرضها المسلوبة، ثم يجلب السلام لشعب مصر الذى عانى كثيراً من ويلات الحروب .